عوامل تفشي الظواهر اللاأخلاقية بالوسط الجامعي الجزائري

أ .هدار مصطفى سليم
جامعة بسكرة

الملخص:

يهدف المقال الحالي إلى إلقاء الضوء على بعض أهم العوامل المؤثرة بطريقة أو بأخرى في تفشي الظواهر اللاأخلاقية بالوسط الجامعي الجزائري، التي تنتشر بشكل غير مسبوق في الآونة الأخيرة رغم دور الجامعة في توجيه السلوك الأخلاقي للأفراد.

صحيح أن " الأخلاق " كمجال للبحث كثير الاستعمال في حقول البحث بالعلوم التربوية، لكنه يدفع لتساؤلات جمة لا تتمحور فقط حول طبيعته أو ماهيته بين الشق الإيجابي والشق السلبي، بل حول الآليات والوسائل الإمبريقية أو الإحصائية المستعملة لقياس وفهم هذا المصطلح.

وسنحاول في هذا السياق أن نعطي لمحة وجيزة عن بعض العوامل والمفاهيم التي تلعب دورا مهما في نشأة وتطور الظواهر اللاأخلاقية وبالتالي في تفشيها بالوسط الجامعي الجزائري.

Abstract :

The purpose of the present article is to shed light on the factors that affect in one way or another the propagation of immoral phenomena in Algerian academic circles, because these phenomena spread in an incredible way recently despite the fact that the university participates in the orientation of moral acts in individuals.

It is true that "morality" as a field of research is one of the most commonly used concepts in the field of education studies, but it raises many questions not only about its nature and its definition between Positive and negative, but also on the tools and ways of measuring empirical or statistical use to understand this concept.

We will try in this regard to give a brief overview on some factors that play an important role in the creation and development of immoral phenomena in Algerian academic circles.

مقدمة:

إن الحديث عن الظواهر اللاأخلاقية بالوسط الجامعي الجزائري يستوجب الوقوف مطولا عند مجموعة من العناصر والمصطلحات التي تؤثر وبطرق متعددة في نشأة وتطور هذه الظواهر على اختلافها وتنوعها، وبالتالي في تفشيها وتأصلها

بالوسط الجامعي الجزائري، وليس من الغلو في شيء دق ناقوس الخطر المحدق بالمجتمع ككل جراء هذا الانتشار والتفشي غير المسبوق في توجه مجال الأخلاق الاجتماعية جمعية كانت أم فردية.

ومن المؤكد أن دور الجامعة والوسط الجامعي في صقل وتوجيه الفهم الخاص بتبني جانب أخلاقي دون غيره أو الحكم على سلوكات بأنها إيجابية أو سلبية (أخلاقية أو لاأخلاقية) لا يختلف فيه عاقلان، إلا أن المتتبع لذلك بالدراسة سيفاجئ بما يحدث بهذا الوسط من ظواهر سلبية أو لا أخلاقية كـ:(الغش، العنف، التحرش، الإدمان وغيرها...) أصبحت واقعا معاشا يعيق السير الحسن ويعتم الظروف المعيشية لهذا الوسط بصفة خاصة وللمجتمع بصفة عامة، ومن الضروري إذا التعرض لها بالدراسة ومحاولة فهم آليات تطورها للحد منها ولإيجاد حلول لها، ولا يتم ذلك دون التعرض للعوامل المؤثرة والمساهمة في وجودها، مما يدفعنا لتساؤلات كثيرة لعل أكثرها إلحاحا التساؤل التالي:

ما هي أبرز العوامل المؤثرة في تفشي الظواهر اللاأخلاقية بالوسط الجامعي الجزائري ؟

ولحصر الفهم وتحديد المقصود هنا وجب التعامل مع المصطلحات المستعملة بحذر شديد كما يتوجب إعادة بلورة المفاهيم في ظل الأعراف الجديدة بما تحمله العولمة والتكنولوجيات الدخيلة على عادات وتقاليد بالوسط الجامعي كوحدة جزئية من المجتمع ككل خاصة مع ما تعيشه الفترة الحالية من خلط بالمفاهيم.

يسهم خلط المفاهيم في اعتيادية الأمور السلبية وتحويلها أو تزييف حقيقتها لتصبح آليا ضمن الإيجابيات، لعل هذه العوامل خارجية كما يخلفه الغزو الثقافي والآثار السلبية لما تخلفه التكنولوجيات الحديثة في الضمائر الجمعية وشخصية الأفراد وليس هذا ضمن أولويات هذا المقال، لكن الاختلاف الكامن في تعدد الثقافات واللغات أو الانتماءات بالمجتمع الجزائري ومنه بالوسط الجامعي الجزائري

سبب في انتشار هذه الأفكار السلبية ومنه في تفشي الظواهر اللاأخلاقية فيه كسبب داخلي مهم بل وحيوي لضبط الرؤى في هذا الجانب.

أولا- الانتماء العرقي، تعدد اللغات والثقافات بالوسط الجامعي الجزائري:

1- الانتماء العرقي بالوسط الجامعي الجزائري:

الانتماء كمفهوم يشكل ضغطا ملحا على الفرد، فهو حاجة أساسية تتضمن ديناميات نشطة ومتشابكة، ويعني شعور الفرد بكونه جزءا من جماعة أوسع يتوحد معها ويتقمصها، ويحس بالرضى المتبادل بينه وبينها[1]، والشعور بالانتماء قد يؤدي بالفرد إلى انتهاج نهج الجماعة رغم معارضة الفرد للفكرة بحكم الانتماء وما قد يحمله هذا الأخير من التزام تجاه المجموعة.

وللتذكير فإن ما يعانيه الجزائريون من تقسيم عرقي أو تقسيم وفقا للمناطق يعد نتيجة لما انتهجه سياسة الاستعمار من تفريق بين المجموعات من الأعراش والقبائل الجزائرية التي كانت فرنسا ترى في إتحادها تهديدا على استمرارية وجودها الاستعماري، ويعرف العام والخاص ما تعانيه الأوساط الجامعية بل والمجتمع ككل من تجمعات لفئات تحت راية هذه التقسيمات الاستعمارية من قبائل، وشاوية وعرب...وغيرها من ما قد ينجم عن تجمع عرقي يحمل صراعات واهية و إدعاء للانتماء لجماعة دون غيرها بغطاء ثقافي وحضاري أو لغوي وغيره، كما نجد تفرقات جزئية في مجموعات كبيرة مثلا في الشاوية نجد أولاد فلان أو جماعة كذا، فقد كانت فرنسا تنتهج سياسة التفريق هذه بين كل الجماعات التي تتجمع، بل وحتى العائلات التي تعد نفرا كثيرا كانت ضحية لهذا التفريق أين تنسب مجموعة مثلا إلى والدها أو سيدها أو شيخها، وما يجب التلميح له هنا هو ما يقوم به البعض كالعادات التي تعود إلى عهود استعمارية قديمة في وقت طغيان الجانب المادي والشيء الذي لامس المجتمع في بعض المناطق الجنوبية للبلاد من تقسيم طبقي ينافي ما هو معروف في المجتمع الجزائري الأصيل والعريق.

ومن أهم هذه العوامل التي تلفت الانتباه هنا إلى مصطلحات يستعملها هؤلاء للتعبير عن الطبقية التي تفرض نوعا من التفريق والسلوكات الغير لائقة التي تصدر عن هذه الفئة رغم أنها قليلة، كمصطلح الشرفة المستعمل في الجنوب و الغرب الجزائري على سبيل المثال لا الحصر، والذي يعني شرفاء القوم أين يعتبرون أنفسهم من أعلى السلالات وينسبون أنفسهم للرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهؤلاء ينادون أنفسهم بـ (مولاي) متبوع بالتسمية، أما النساء منهم فينادين بـ (لالة)، وهي تصنيفات تتبعها مصطلحات تحدد فئات أخرى كالمرابطين، والحراطين أو الحرطانيين، وكذا العبيد ويقصد بهم السود، وما تهتم به دراستنا الحالية ليس هو الإبحار في ما يحدث جراء هذه التقسيمات من عنصرية بقدر ما هو التحذير من ما ينجم عنها، حيث نجد بعضا من الجماعات التي تجمع بعضها تحت هذه الطبقية الغير مبررة تستبيح بعض السلوكات الاستعبادية مثلا، كما تجدر الملاحظة إلى أن التقسيم أو الاختلاف العرقي يتبع التقسيم أو الاختلاف في استعمال اللغات أو اللهجات المحلية.

2- تعدد اللغات واللهجات المحلية بالوسط الجامعي الجزائري:

اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية في نص المادة الثالثة من الدستور الجزائري، كما تعد اللغة الأمازيغية لغة وطنية رسمية أيضا وفقا للمادة الرابعة منه، لكن تعدد اللغات واللهجات المحلية في الجزائر بين اللغات الأصلية (الأمازيغية) بلهجاتها المتعددة، والعربية الفصحى بلهجاتها المتعددة، إضافة إلى اللغات الأجنبية جعلها من بين الدول ذات التعددية اللغوية [2]، واللهجات هنا هي أساس في الحديث عن اللغة كعنصر مهم في توجه الهوية لأن اللغة الرسمية (العربية الفصحى أو الأمازيغية) واضح معالمها، فلا يمكن لأحد أن ينفي دور اللغة في توجه السلوك الإنساني وفي رسم حدوده وفي هذا الصدد يقول محمد الغزالي: "المرء بعد فقدانه الإيمان واللسان، أو بعد فقدانه أصوله الروحية واللغوية يمكن

حسبانه مؤقتا في عداد المفقودين"[3]، فكغيرهم من سكان الدول العربية لا يتكلم الجزائريون اللغة الرسمية في الحياة اليومية، بل تستعمل أساسا في التعليم بالمدارس والجامعات أو في المساجد...، والهيئات الرسمية للدولة أو من خلال المراسلات الرسمية، وفي الجرائد أو الصحافة...الخ، حيث تدرس في كل الأطوار الدراسية منذ السنة الأولى ابتدائي أي منذ حوالي السنة السادسة من العمر، وما لا يجب إغفاله هو أن اللغة الأجنبية الثانية بالجزائر وهي **اللغة الفرنسية** التي تعد جزءا من المناهج التعليمية حيث تدرس كمادة من المواد الأساسية منذ السنة الرابعة ابتدائي في النظام التعليمي القديم، وهي الآن بعد الاصلاحات التي أجريت على المناهج تدرس منذ السنة الثالثة أي منذ السنة الثامنة من العمر، كما تستخدم بشكل كبير في بعض المناطق خاصة القبائلية، ويجيد جل الجزائري الذين زاولوا دراستهم حتى مرحلة الثانوي القراءة والكتابة باللغة الفرنسية، والباقي يتحدثها ويفهمها على العموم، وهي تستخدم بشكل كبير في الإعلام والتجارة...، كما تستخدم يوميا على نطاق واسع في المدن الكبيرة بشكل مزدوج مع اللهجة الجزائرية، ويرى كثير من الباحثين أن الفرنسية مازالت اللغة المسيطرة على كثير من التخصصات في التعليم الرسمي مثل:(الطب، الهندسة وكثير من العلوم الدقيقة...)، وتتم الأبحاث بها بهذه اللغة، وعلى كثير من الأعمال والدوائر المهنية مثل:(القطاع الاقتصادي وقطاعات الصناعة، والصحافة...)[4]، ويجدر الذكر أن تأثير اللغة الفرنسية في الجزائر خاصة بعد انتهاجها لسياسة التعريب يتسبب في صراعات ثقافية بين كثير من الجزائريين خاصة المثقفين منهم حيث أثير جدال عنيف في أوائل التسعينيات حول استبدال اللغة الفرنسية بالإنجليزية في النظام التعليمي والمطالبة بدمج اللغة الإنجليزية ليتعلمها الطفل مبكرا بالمدارس بدل تعلمها بداية من العام الأول للمرحلة التعليمية المتوسطة وهو ما لا يمكن عرضه هنا لضيق المجال ولأن الأولوية في الحديث في هذا الموضع للغة الأصلية (اللغة الأمازيغية) التي تنازع اللغة الرسمية الأولى وما ينجم عن جدال للمثقف الجزائري

خاصة في منابر الوسائل الإعلامية أمام الجماهير العريضة، وما يترتب من نزاع يؤدي إلى ممارسات سلوكية سلبية في المجتمع ككل، وفي المدرسة على وجه الخصوص، حيث تتوزع اللغة الأمازيغية في الجزائر إلى مجموعات كبيرة أهمها[5]:

أ- **القبائلية:** هي اللغة الأمازيغية الأكثر انتشارا، وتعتبر منطقة القبائل ذات المساحة المحدودة والكثافة السكانية المرتفعة جدا أهم منطقة ناطقة بالأمازيغية، فهي تحصي لوحدها أكثر من ثلثي الجزائريين الناطقين بالأمازيغية وتشمل منطقة القبائل الكبرى بكل من الولايات التالية: "بجاية، تيزي وزو، بومرداس، إضافة إلى عدد كبير بالجزائر العاصمة والمنطقة الشمالية من سطيف".

ب- الشاوية: هي اللغة التي تتحدث بها مجموعة من السكان الأمازيغ القاطنين بجبال الأوراس ضمن ولايات: "باتنة، أم البواقي، خنشلة، تبسة، والجهة الجنوبية من سطيف".

ج- **الشلحية:** هي لغة السكان المتمركزين في مناطق متفرقة كولاية: "تيبازة، ومدن الشريط المحاذي للمغرب الأقصى بشار ومنطقة مغنية الحدودية".

د- **الميزابية:** وهي اللغة التي يتحدث بها سكان بني مزاب المستوطنون أساسا في غرداية والمدن الإباضية الأخرى من الجنوب الجزائري وتجدر الاشارة إلا أن بني ميزاب منتشرون كعائلات في كل الأقطار الجزائرية كأقليات تمارس التجارة (المزاب).

هـ- الترقية (الطوارقية): يتحدث بها الطوارق، وهم قبيلة كبيرة موزعة بين الجزائر وليبيا والنيجر لا يتعدى عدد المتحدثين بها في الجزائر بضع عشرات الآلاف نسمة [6].

ويتبع هذا التوزيع وفقا لمنطقة تواجد الأفراد، والملاحظ أن بعض الجامعات تستخدم اللغة في اللافتات المعلقة على واجهة الجامعة أو الكليات كجامعة باتنة التي تستخدم اللغة الشاوية، وجامعة تيزي وزو التي تستخدم اللغة القبائلية على لافتة الواجهة، أما الملفت للنظر فهو أن الاختلاف موجود حتى على مستوى

الجماعات الصغيرة داخل الانتماءات الكبرى، أما عن اللهجات في اللغة العربية فكلها تعرف باللغة الدارجة التي تختلف عن الفصحى أو ما يسميه البعض باللغة المشتركة, وهي تنتشر في كل ولايات الجزائر لكنها تختلف اختلافا طفيفا من حيث اللكنات والرنات، وكذا الاستعمال المختلف لبعض الكلمات، وبالإضافة إلى امتزاجها باللغة الفرنسية عموما، فهي تستعير كلمات من لغات مختلفة، وما وجب التركيز عليه هنا هو أن المواطن الجزائري يستطيع التمييز بين شخص يقطن منطقة الشرق أو منطقة الغرب، الشمال أو الجنوب الجزائري مثلا بمجرد سماع حديثه، أو بين ساكن لولاية وولاية أخرى في نفس المنطقة مثال:(عنابي وسكيكدي من منطقة الشرق) أو (وهراني وتلمساني من منطقة الغرب) وهكذا...الخ، وذلك من خلال ما تحمله اللهجة المحلية من لكنات بخصائصها كمجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة تقع ضمن بيئة أشمل، ونقصد من خلال استظهار ما سبق في هذا العنصر ابراز الصراع اللغوي في الوسط الجامعي ككيان متعدد اللغات ولا يخفى على أحد أن جل الدراسات التي أجريت في مجال اللهجات واللغات كـ(علم اللهجات/**Dialectology**...) أثبتت أن اللغة تتأثر بالحياة الاجتماعية للأفراد وبظروف الحياة سواء كانت بالمدينة أو بالبادية بزراعتها وتجارتها وحرفها...الخ، وفي كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور معين للكلام ومنه إلى تغييره لكثير من الظواهر (اللاأخلاقية في حالة الدراسة الحالية)، وظروف أخرى تعمل على استقرار هذه الظواهر وتحصنها فلا يطرأ عليها تغيير بعد ذلك، غير أن الغلبة دائما لعوامل التطور، والزمن فبعد مرور قرن أو قرنين يتحتم اختلاف نسبة التطور في اللهجات المتباينة حتى على مستوى اللغة الواحدة [7]، مما يؤدي إلى تبني اتجاهات جديدة للظواهر ونظرة الناس لهذه الظواهر وايجابيتها أو سلبيتها بالنسبة للأغلبية من الأفراد ومنه على الحكم على هذه الظواهر وتصنيفها، ويمكن تقسيم أو تصنيف اللغات واللهجات المستعملة في الجزائر إلى: لغات رسمية هي اللغة العربية الفصحى (المشتركة)، واللغة الأمازيغية الرسمية (المشتركة) اللغة

الفرنسية كلغة أجنبية أولى، واللغة الانجليزية كلغة أجنبية ثانية، ويجب التنويه إلى أن الوسط الجامعي رغم الرسمية ورغم جانبه المؤسساتي وتبعيته للدولة وسياستها التعليمية إلا أن مرتاديه لا يتحدثون اللغات الرسمية بشكل تام، فنجد الكثير من الأساتذة والطلبة مثلا يتحدثون الدارجة حتى بقاعات الدرس أثناء الشرح للتبسيط ولتقريب الفهم على سبيل المثال لا الحصر، كما نجد جماعات يتحدثون بلغاتهم ولهجاتهم المحلية داخل الحرم الجامعي، والأهم هنا هو أن كثير من الكلمات المستعملة مثلا في أماكن معينة قصد الشتم والسب أو للتعبير السلبي عن مواقف ما، قد تكون عادية في غيرها من الأماكن ولا تعني بأي حال من الأحوال نفس المعنى بل قد يكون العكس.

3- تعدد الثقافات بالوسط الجامعي الجزائري:

يقصد بالثقافة في الدراسة الحالية ذلك المزيج المعقد من عادات وتقاليد، معتقدات وأفكار واتجاهات تحدد الأخلاق المقبولة أو المرفوض في المجتمع أو أساليب التفكير التي تشكل تبني لاتجاه السلوك البشري بكل ما ينتج عنها، وما يعتاده من طريقة في الحديث واللباس...الخ، وما يتعلمه الفرد عن طريق التربية في عمليات التنشئة الاجتماعية، وما يمرره عبر الأجيال المتتابعة، وهي كذلك ما يصنعه الإنسان بنفسه لنفسه ويسقله وينظمه بالخبرات السابقة والتجارب التي يجريها بالحياة اليومية بما قد تحمله من عناصر يشترك فيها غالبية أفرادها مثل: (اللغة، الزي، طريقة التحية، أساليب الاحتفال في المناسبات...الخ)، مما يعطي تماسكا لروح الجماعة حافظا على ثقافتهم المشتركة الواحدة). وقد يأخذ مفهوم الثقافة عند اتساع معناها شكلا من أشكال السلبية والإيجابية أين لا يمكن أن ينعزل الإنسان عن مجتمعه فيتأثر مباشرة أو بصفة غير مباشرة شعوريا أو لا شعوريا بما تحمله هذه الأخيرة من مواصفات، كما يشار في تعريفها إلى مجموع المعارف المكتسبة التي تمكن الفرد من تنمية روح النقد والقدرة على الحك م، وكذا إلى مجموع السلوكات الفردية والجماعية وما يرتبط بها من عادات وتقاليد وأعراف

وأخلاق، وهي المفهوم الذي أورده إدوارد تايلور: "ذلك الكل المركب المعقد الشامل للعادات والتقاليد والمعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين ولكل القدرات والخصال الإنسانية بصفته عضوا في المجتمع"[8]، وما تهتم به الدراسة هنا ليس التعاريف المختلفة للثقافة من قبل العلماء وما أسهب به المفكرون من أمثال أندريه لالاند، إدوارد تايلور، ليفي بروبل، اميل دوركايم، فرانز بواس أو ابن خلدون ومالك بن نبي وغيرهم، بقدر ما تهتم الدراسة بالتعدد الثقافي وما قد يحمل من تناقضات سلبية قد تؤدي إلى تعزيز الظواهر اللاأخلاقية في الوسط الجامعي، والجزائر كما هو معروف لدى العام والخاص دولة تتعدد فيها الثقافات وتتداخل فيها المفاهيم الثقافية، مما يولد أفرادا يتمتعون بالثراء والتعقيد، ويتصرفون بل ويتفاعلون من المنطق السلبي لمنظور التعدد، وهنا تكون هويات ثقافية مختلفة أو ما يعرف بـ**(الهوية المتعددة)**[9] يمتلك فيها الأفراد هويات عديدة تنتمي إلى مجموعات متعددة ذات درجات مختلفة تأتي كنتيجة للتعدد اللغوي عموما أو الاحساس بالانتماء لمكان بعينه، كما لا يمكن لنا التنصل مما يعرف بالغزو الثقافي الذي تعيشه الجزائر والوسط الجامعي الجزائري كغيره من الأوساط، بعيدا عن ما يعرفه البعض بنظرية المؤامرة يعتبر الغزو الثقافي لكل الدول المستضعفة من قبل الدول القوية أمرا مفروغا منه، فما التقسيم العالمي لدول متقدمة وأخرى متخلفة إلا دليل على التفرقة واللامساواة على الصعيد الدولي والعالمي، من ما ينتج تذبذبا على الصعيدين الفردي والجماعي في كيفيات فهم الثقافة في سياقها وبالتالي تدهور الشخصية الفردية والجمعية التي تتبنى عموما اتجاهات متناقضة اتجاه الموروث الثقافي واتجاه الآخر بشكل يجعل التبعية أمرا اعتياديا بل يتباهى به في كثير من المواقف الأخلاقية واللاأخلاقية، كمفهوم الانفتاح والانغلاق الذي يؤدي إلى حالات من التبرج على سبيل المثال، يرى ابن خلدون ككثير من العلماء الغزو الثقافي كحقيقة لا يمكن التملص منها في قوله: "إنما تبدأ الأمم بالهزيمة من داخلها عندما تشرع في تقليد عدوها".

والحقيقة المرة هي أن ثقافة السائدة بالأوساط الجزائرية تعاني التبعية بل وتقليدا أعمى للدول المتقدمة التي يكرسهما في كثير من الأحيان مفكرون ومشتغلون في مجالات العلم المختلفة أو كما يحب البعض تسميته بـ(المثقف الجزائري) أو (النخبة)، بتشجيعهم لأفكار الغرب، وتباهيهم بالتبعية لدول المتقدمة تغطية لضعفهم وانعدام انتاجيتهم تحت ظل ما يعرف بالاحتكاك والاختلاط الناجم عن التثاقف في خلط مفاهيمي يؤدي في كثير من الأحيان إلى التركيز على الجانب الإيجابي دون السلبي في مزج مصطلحي (الثقافة و التثاقف)، وفي تهيين وتغييب شبه تام للهيمنة المفروضة من قبل هذه الدول القوية، بل أن كثيرا من المفكرين يحولون الضعف الناجم عن عدم العمل الجاد والتكاسل الاجتماعي في الدول المتخلفة التي يعيشون بها إلى نقطة قوة، ولا يرون أن التبعية للدول القوية بمتناقضات الفكر الذي تتبناه وتفرضه خاصة بالتقدم المعلوماتي في ظل العولمة وما ينجم عنها من ظواهر لاأخلاقية ولا استقرار في المناهج التربوية، وانتشار الأوبئة الاجتماعية كالتجارة بالمخدرات، التفكك الأسري أو الأمراض الخطيرة كالإيدز...الخ[10]، تمثل غزوا ثقافيا بل العكس، من المفروض أن يمثل الوسط الجامعي والجامعة الجزائرية قوة دفاعية عن الثقافة المتأصلة وعن الهوية الوطنية الجزائرية بمقوماتها وثوابتها من ما قد يشوبها من أخطار سواء كانت خارجية كالهيمنة الغربية...أو داخلية كالتصدعات أو الانقسامات اللامبررة...الخ، لكنها في الواقع تعمل بشكل عكسي من ما يجعل التبعية والتقليد والولاء حتمية تعيشها الأوساط الجامعية بالدول النامية ككل لكن آليات عمل تمازج الثقافات وتعددها في وسط معين وكذا تأثيراتها على الجانب الأخلاقي ومنه الجانب اللاأخلاقي سواء للفرد وللجماعات لا يبدوا جليا إلا إذا ألقي الضوء على مفاهيم أساسية كالتبعية، التقليد والولاء وما ينجر عنها من ظواهر لاأخلاقية علاوة على ذلك يلاحظ نقص نسبة الوعي الثقافي في جل المجالات بالنسبة لكثير من مرتادي الوسط الجامعي

مثل الثقافة الجنسية والثقافة الاجتماعية والدينية...الخ، رغم مستوياتهم الدراسية العالية في أغلب الأحيان، من ما يؤثر على تفشي الظواهر اللاأخلاقية.

ثانيا- التبعية، التقليد والولاء بالوسط الجامعي الجزائري :

1- التبعية بالوسط الجامعي الجزائري:

مصطلح التبعية ذو طبيعة مطاطية لاختلاف استعمالاته، وتعدد تعاريفه يقال مثلا: "تبعية الفرد لوطنه"، ويقصد بها الانتماء القانوني لدولة ما (تابع لدولة فرنسا أو تابع لدولة أمريكا...)، يقال أيضا:التبعية السياسية ومعناه انتماء الفرد لتوجه سياسي ما، فالتبعية ظاهرة ملموسة، بل واقع مفروض ومعاش في نظام عالمي تنقسم فيه الدول إلى صنفين: الدول الصناعية الكبرى أو دول الشمال، والدول المتخلفة الضعيفة أو دول الجنوب، والعلاقة بينها علاقة طبقية، يترتب عنها تكريس وتعميق وضعيات الانحطاط والتخلف التي يقبع فيها المجتمع الجنوبي، عن طريق سلب إرادة الشعوب واستقلالها السياسي والاقتصادي والثقافي والتدخل في جانبها الأخلاقي، وعن طريق تقييد حريتها وسيادتها...الخ، في عصر متسارع، أين نجد الشعوب تعيش غوغائية أخلاقية بين ما تنتمي إليه من أصالة وما يفرضه العصر بتكنولوجياته الجديدة ومؤثراته، ورغم أن التبعية في معناها الواسع هي: "عبارة عن علاقة تنطلق من التابع إلى المتبوع، عبر عملية إلحاق قصري بوسائل سياسية واقتصادية وعسكرية، وغزو ثقافي وفكري لتعميم نظام الانتاج الرأسمالي، وتسويغ للهيمنة التي تمارسها دولة عظمى أو مجموعة دول أحرزت تقدما في مجال الاقتصاد والتكنولوجيا والتعليم فتستخدمها لتحقيق أهداف مادية واستراتيجية، بما تفرضه على أمم وشعوب أخرى أقل تقدما من إجراءات تلزمها بها وتجبرها على تنفيذها كي يمكنها البقاء والإستمرار"[11]، لكن الاستعمالات الأهم للمصطلح بالنسبة للظواهر اللاأخلاقية بدراسة الحالية (التبعية للغرب) أي تبعية المجتمعات المتخلفة بقواعدها السياسية الاقتصادية والثقافية وخاصة التربوية والتعليمية إلى الدول المتقدمة بأبعاده وتجلياته وكذا وجوه تأثيره على التطور بمجالاته خاصة

منها المجال الأخلاقي في البلدان النامية، انطلاقا من علاقة التابع بالمتبوع، في عملية هيمنة فكرية (غزو فكري) لإرساء وتعميم نظم اجتماعية ومناهج تربوية وتعليمية تخدم مصالح الدول الأقوى وتحافظ على ديمومة السيطرة المحكمة التي تمارسها هذه الدول العظمى التي تملك تقدما في كل المجالات (السياسي، الاقتصادي، التكنولوجي) واستعمالها للتربية والتعليم كوسيلة لتحقيق أهداف مادية واستراتيجية، ومعروف أن الوسط الجامعي كواحد من أهم العناصر الاجتماعية والمؤسساتية يخضع كغيره من الأوساط لمعيار التبعية في صورتها الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية وخاصة التعليمية والتربوية، ومنه التأثير على التوجهات الأخلاقية والحكم على الظواهر اللاأخلاقية، بل ويساهم بفعالية إما في إرسائها وتشجيعها من خلال الأبحاث والدراسات والأفكار التي ينشرها في المجتمع, أو في محاربتها والتصدي لآثارها ومخلفاتها السلبية على الأفراد والجماعات، هذا من الناحية العامة، وإذا بدلنا زاوية النظر إلى التبعية في الوسط الجامعي الجزائري فسنجد أن الجماعات أو الأفراد يعيشون التبعية وفقا لمعايير تأتي في الغالب بصفة غير رسمية في شكل تجمعات أو (لوبيهات) تتشكل وتتطور وفقا للحاجات كالحاجة للحماية، أو التكتل لغايات مختلفة، كما نجد التبعية للتيارات وللأشخاص...وغيرها من أنواع التبعية التي تلعب دورا مهما في انتهاج سلوكات سلبية تؤثر في كيفيات تفشي الظواهر اللاأخلاقية بهذا الوسط.

2- التقليد بالوسط الجامعي الجزائري :

يقصد بالتقليد تقليد الآخر، سواء كان ذلك للغرب أو للدول أو للحضارات أخرى خاصة منها التي تؤثر على انتشار ظواهر لاأخلاقية بطريقة مباشرة كما هو ملاحظ اليوم من تشبه بالآخر في طريقة اللباس، والسلوك بشكل واع أو لا واع، ولا يتعلق الأمر هنا بفئة الطلبة من الشباب فقط، بل بجميع الفئات بمختلف درجاتها ومستوياتها أين يحدث التقليد عن قصد أو عن غير قصد، بغرض تحقيق نزوات أو رغبات نفسية معينة أو الرغبة في الشعور بالانتماء إلى الجماعة أو

إرضاء رغبات داخلية دفينة، أو حب الظهور والتفاخر أمام المحيط القريب والبعيد، وتماما كما هو حال التقليد في المجتمع حيث يكون لشخصيات مشهورة في الفن أو الرياضة، لأنها مجالات خصبة تجلب الأضواء والشهرة، والحياة الرغدة في نظر هؤلاء المقلدين، وسواء كان التقليد فنيا كالتقليد الأعمى للموجات الفنية والموسيقية (خاصة الصاخبة منها) التي تغزو العالم بأسره، حيث تناسلت فرق ومجموعات غنائية جزائرية ومغربية تتعاطى غناء الهيب هوب والراب وغيرها في تقليد لصيق لما تعرفه الساحة الفنية في أوربا وأمريكا أين لا يقتصر التقليد على الصنف والنمط الموسيقي أو الألحان، بل يتعاده إلى شكل المغني ولباسه وحركاته بجسده وإيماءاته وتنقلاته وتحركاته، بشكل يوحي بأن المغني ليس مغربيا وإنما غربيا أو أمريكيا من ما يؤثر على الجمهور خاصة الشباب الجامعي الذي صار يتهافت على أنواع معينة من الستايلات وهو ما يتفشى بشكل رهيب على مستوى بعض الأوساط الجامعية، وذلك من فرط التقليد شبه التام للطقوس والأجواء التي تحضر في مجموعات الهيب هوب والراب في أمريكا رغم ما يلاقيه مغنو الجيل الحديث الذين يقلدون بشكل أعمى نظراءهم في الخارج العديد من الانتقادات التي تهاجمهم في عدم بذل أدنى مجهود للتميز والخروج عن تقليد الآخرين، خاصة أن الفن والموسيقى يستوجبان أن يكون صاحبهما مبدعا وذا روح تجديدية، لكن الملفت للانتباه هنا هو تشبع المجتمع بمفاهيم دخيلة على مجتمعنا، والأمثلة لا متناهية حيث يكفي الحديث مع مجموعة أفراد من أي وسط جامعي لإدراك مدى تأثير التقليد على الظواهر اللاأخلاقية فنجد كثير من الشابات والشباب يتحدثون عن التقليد كجانب من الانفتاح والتقدم والرقي ويعتبرون زملاءهم كلاسيكيين أو رجعيين أو متحجرين...–على حد قولهم–، حتى أن جل أحاديث هؤلاء ينحصر في الثناء على المقلدين...، والمتمعن في أمر التقليد وتطوره خلال السنوات الأخيرة وتسارعه...سيجد حتما أن الدعاية المغرضة أو (البروبا جندا) المقصودة التي يستعملها المقلدون عند بناء المؤثرات المختلفة في الأفلام والأفلام الغنائية

وغيرها...ممنهج ليصل إلى أهداف معينة كاستخدام الكوريغرافيا أين يخلط الغناء بالرسوم المتحركة، بالرياضة والأفلام واللعب الايحائي مثلا بالجنس والمال والعنف والكحول...، لتنتج بذلك وسائل تأثير هائلة على أخلاق المتلقي، خاصة بعد ظهور طبوع جديدة من الغناء في نهاية الثمانينات والتسعينات مع هشاشة الوضع في المجتمع الجزائري في هذه الفترة (العشرية)...وتأثر العالم بموجات(السناب، البويزباند...)، وتدهور الأذواق الفنية، وكذا الأخلاقية مع انحطاطها وسلبيتها الاجتماعية، إلى أن ظهرت مفاهيم جديدة كمفهوم (التقلاش والملاهي...)-على حد قولهم-، حتى صارت البذاءة تباع وتشترى وبقوة، في كثير من الأحيان هروبا من الواقع الاجتماعي المغلق، وهو ما نلاحظه مثلا في الحفلات والأفراح أو الرحلات التي تقام في الأوساط الجامعية والعادات الجديدة الدخيلة على المجتمع الجزائري كعادات الرقص المختلط الماجن(نساء ورجال...)، والأمثلة على ذلك كثيرة حيث يكفي التأمل البسيط في كيفيات تطور الشباب والشابات في الوسط الجامعي ليشهد المتأمل السراويل المقطعة أو النازلة من الأسفل، صبغ الشعر بطرق ملفتة حتى بالنسبة للذكور، استعمال المساحيق والماكياج ...و استعمال الأقراط، ووضع الوشام على أجسادهم تقليدا لمشاهير كرة القدم أو الأفلام مثلا، إذ لم يعد الوشم أو وضع الأقراط عند المقلدين رمزا دلاليا للعصابات الإجرامية من مساجين أو لدى المتشردين، كما لم يعد رمزا قبليا كما كان في الماضي عند الأجداد والجدات اللاتي ورثنه في الحقبة الاستعمارية...، بل أصبح علامات تسم صاحبها وتميزه، بل تتعدد معانيها وتختلف من شخص لآخر، فمنهم من يعتبره تعبيرا عن قوة الحب ومنهم من يرى أنه علامة للتميز وإثارة الانتباه، ومنهم من يعتبره علامة للصداقة...، ومع تطور المفهوم صار الوشم أو (التاتو) على أنواعه من الرسم بالسيال إلى الجرح الجسدي...أكثر رواجا في الأوساط الجامعية من ذي قبل، ومن ما ظهر بسبب التقليد مثلا مجموعات من الأفراد بهيئات وأشكال غريبة لا علاقة لها بمجتمعهم وأقل ما يمكن القول عنها أنها لا تليق بمكانة الوسط

الجامعي رغم تنبيه كثير من الباحثين وفي شتى المجالات، ومع الدق المتواصل لنواقيس الخطر بعدم التساهل مع هذا التقليد الذي يهدد التقاليد والعادات والمعتقدات...، ويعتبرون أن تقويم سلوك المقلدين وتنبيههم إلى خطورة الأمر الذي نهى عنه رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم في قوله : " لتتبعُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكم، شبرًا بشبرٍ، و ذراعًا بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ تبعتُمُوهم"، قلنا: "يا رسولَ اللهِ، اليهودُ والنصارى؟" قال:"فمَنْ؟"[12]، و ما تهتم به الدراسة الحالية ليس المظهر الخارجي وما قد ينجم من تغيير في المحيط بصفة سطحية، بل ما تخفيه هذه المظاهر الخارجية التي تأتي كنتيجة لمساس بالقيم والأخلاق بل وبالمبادئ الراسخة للإنسان وتغير على الصعيد الشخصي بما يؤثر سلبا على المحيط الجامعي الذي يؤثر بدوره في الهوية الاجتماعية بالمجتمع الجزائري، ومنه في الظواهر اللاأخلاقية...الخ

3- الولاء بالوسط الجامعي الجزائري:

ويقصد بالولاء في هذا الموضع ما عرفه فرح بأنه: "حالة معينة من تكامل حاجات تنشأ عن تفاعل بين الجماعة بضغوطها وشحناتها الانفعالية، والفرد بحاجاته الفيزيولوجية والنفسية وعواطفه، وتقوم أساسا على تحديد الأولوية للجماعة، ويميل الكثيرون إلى استخدام تعبير التضحية كتجسيد مادي للولاء الذي يتمظهر في أقوال وأفعال أفراد جماعة"[13] من جهة، وما آل إليه بعد أن تطور من خلال ما يعرف بفلسفة الولاء حيث تطور المفهوم بالأوساط الجامعية تماما كتطوره في المجتمع، وكما هو معلوم عن طبيعة مفهوم هذا المصطلح وعلاقته بالسلطة والحرب، بالمجتمع والبيئة، بالدين والحقيقة والواقع، وصولا إلى القيم الأخلاقية ومنه اللاأخلاقية، لأنها ترتبط بمشكلات كثيرة، منها ما يتعلق بطبيعة الولاء أو مدى الحاجة إليه، خاصة ما يتعلق بأنواعه وصفات القضايا التي يتجه إليها أو ما ينشأ بسبب صراع الولاءات أو تعارضها، أين اكتسب مفهوم الولاء أهمية بعد زيادة تعقيد طبيعة العلاقات الانسانية بالمجتمع وكذا تماسكه، وظهور الحاجة لدراسة

أسس الحياة الأخلاقية، وطبيعة القانون الأخلاقي من منظور يتماشى وهذه التغييرات، فإنسان العصر يعاني من الحيرة تجاه المثل العليا وواجباته الأخلاقية...[14]، ومنه أصبح ينظر للولاء بوصفه مبدأ أخلاقي ويحدد معناه وطبيعته, أو أنواعه طبيعة القضايا الأخلاقية, حتى أن من مفكرين مثل جوزايا رويس من أسس العالم الأخلاقي على مفهوم عقلي للولاء وركز الفضائل والواجبات الرئيسية حول مبدأ واحد، يساهم في توضيح مشكلات العصر الأخلاقية ومنه(اللاأخلاقية) وينهى الصراع وتضارب الولاءات...، إن أسبقية فكرة الولاء زمنيا وأقدميتها بالنسبة لاكتسابها المعنى الآني الذي يجعل منها أحد محاور الأخلاق ومنه اللاأخلاق في الصورة العكسية بجانبها السلبي للمصطلح يجعلها غير واضحة تمام الوضوح إن لم نقل مشوشة حيث تتضارب الآراء بين ذم ومدح دون الإحاطة بكامل الجوانب أو باعتبارها محورا رئيسا لكل الفضائل والواجب الرئيسي بين كل الواجبات...، لأن تخليص مصطلح الولاء من ما تحمله التفسيرات الخاطئة الناجمة عن علاقته بأفكار أخرى(مقدسة عند البعض) وإثبات أن الولاء هو محور أساسي للحياة الأخلاقية وكما يراه رويس في كتابه عن الأخلاق ونظرته للتعبير عن عمق المعنى وبعده الأخلاقي لدى أصحاب الولاء مهما كانت ولاءاتهم وتعريفهم للولاء ولمعناه، حيث يرى أن إدراك الواجب في ضوء المفهوم، الذي إن عزله عن كل المجالات عدى المجال الأخلاقي فقط، يمتد ليؤثر في نظرة كثير من الناس لكل من الحق والواقع والدين...، فيقول: "ولما كان الإنسان ينضج أخلاقيا مع مرور العمر فإني أعتقد أن المثالية ليست منفصلة عن الحياة العملية والعلمية بل على صلة وثيقة، وأن كلا من الدين، العلم، والحياة العملية، يحققان الكثير في ارتباط ووحدة الأخلاق والعالم الواقعي...ثم يثني على تلميذ له...ويذكر أستاذه وصديقه وليام جيمس المحب للحقيقة والذي يعتبر علاقته به واحدا من الأدلة على ما يفسر الولاء في نظره..."[15]، ولا يقصد بالولاء في الوسط الجامعي الجزائري الولاء للمناصب, للأشخاص والجماعات أو للمؤسسات الجامعية

والمدارس بكليات ومعاهدها...، بل أيضا الولاء للمبادئ وللقيم والأخلاق...، في تلميح للولاء مقابل البراء.

الخاتمة:

ويبقى المجال مفتوحا للحديث عن العناصر المؤثرة في تفشي الظواهر اللاأخلاقية بالوسط الجامعي الجزائري ومساهمته في انتشارها بالمجتمع فرغم المحاولات المتكررة لبعض الباحثين والدارسين في مختلف تخصصات العلوم الانسانية والاجتماعية إلا أن الصراع ضد الظواهر اللاأخلاقية وانتشارها ليس إلا في بداياته، وينبغي للعاملين في كل المجالات توحيد الجهود المبذولة وتسخير جميع الامكانيات المادية والبشرية وغيرها للتصدي لهذه الظواهر السلبية التي تتطور وتتأصل بالمجتمع مولدة الجريمة وجاعلة منها مصيدة للأجيال المتعاقبة، مما يجعل التفكير في مجال التربية الوقائية حتمية في ظل العولمة والتطور التكنولوجي الهائل والتأثر المتزايد من قبل الظواهر اللاأخلاقية .

الهوامش:

1- رابحي اسماعيل: **الاصلاح التربوي و اشكالية الهوية**... أطروحة دكتوراه العلوم بجامعة باتنة 2013/2012، ص:49.

2- السفارة السعودية بالجزائر، الموقع الرسمي للسفارة / باب / معلومات عن الجزائر. www.embassies.mofa.gov.sa

3- محمد الغزالي : **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل**، ط (3)، دار الشروق، 1992، ص:183.

4- مليكة الرباعى معامري: **متلازمة اللغة الفرنسة في الجزائر**، من أرشيف "الجريدة الدولية للآداب والعلوم، ص: 53.

5- السفارة السعودية بالجزائر، الموقع الرسمي للسفارة / باب / معلومات عن الجزائر. www.embassies.mofa.gov.sa

6- و لم تنضم الجزائر للمنظمة الدولية للفرانكوفونية، أو لأي منظمة دولية متحدثة بالفرنسية رسميا لخلفيات تاريخية، مارتن ريج كوهن "الحرب الأهلية الجزائرية على اللغة الفرنسية". جريدة "تورنتو ستار "عدد 29 جويلية 1997.

7- السفارة السعودية بالجزائر، الموقع الرسمي للسفارة / باب / معلومات عن الجزائر. www.embassies.mofa.gov.sa

8- د.إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية،** القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ، 1965م، ص: 86/87.

9- عز الدين الخطابي ص:20، في العقون لحسن، **التثاقف الهوية واضطرابات الصحة النفسية** دكتوراه 2015 جامعة باتنة ص: 27/26.

10- Trujillo Sáez, Fernando : Culture Awareness and the development of the pluricultural competence, p : 03.

11- الجابري علي حسين، **الإنسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه**، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 1426هـ/ 2005م، ص: 27.

12- محمد سعيد الطالب : **الثقافة والتنمية المستقلة في عصر العولمة**، منشورات إتحاد كتاب العرب، عن موقع إتحاد كتاب العرب، دمشق، ص: 22

13- محمد بن إسماعيل البخاري : **الحديث عن أبي سعيد الخدري عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم**، صحيح البخاري: 7320

14- فرح م.ع (1983)، في رابحي اسماعيل: **الاصلاح التربوي وإشكالية الهوية**...أطروحة دكتوراه العلوم جامعة باتنة 2013/2012، ص:49.

15- جوزايا رويس: **فلسفة الولاء**، ترجمة: أحمد الأنصاري، حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص: 08